مجلة الموروث مجلد: 05 عدد: 01 السنة: 2023
ص: 80 - 96 ISSN:2710-8503/EISSN:2992-1538

صورة المرأة التارقية في رواية سرهو لمولود فرتوني

The image of the Tuareg woman in the novel Sirhu by Mouloud Fertouni

ختاش صفاء [1] / حفيدي احمد [2] *

Khettache safa [1] / hafidi ahmed [2]

مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست

جامعة تامنغست– الجزائر

University of Tamanghasset- Algeria

khettache.safa@gemail.com1 / h00001971@yahoo.fr2

تاريخ الإرسال: 2023/06/10	تاريخ القبول: 2023/07/18	تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص البحث

حظيت المرأة بمكانة في الأعمال الأدبية التي تناولتها منذ القدم ،ولا تزال لها تلك المكانة داخل المجتمعات العربية والإسلامية ،ولا يخفى علينا ما للمرأة التارقية من منزلة ومكانة عند الإيموهاغ ، فحاولنا من خلال العمل الأدبي رواية سرهو للروائي مولود فرتوني ،أن نقف على صورة المرأة من خلال دورها الاجتماعي والثقافي والأدبي مبرزين مكانتها ،وما رافقها من تكوين للمجتمع ،ومن خلال هذا الدور يمكننا أن نصوغ الإشكال الآتي : إلى أي مدى استطاع المبدع مولود فرتوني أن يوظف ذلك التشاكل الاجتماعي للمرأة التارقية ؟ وكيف كان لها دور الريادة والسيادة داخل هذا المجتمع ؟ وللإجابة على هذا الإشكال اختصرنا هذا الموضوع في النقاط التالية :

المرأة وتشكل المجتمع ، دور المرأة التارقية في الحفاظ على الموروث الثقافي

الكلمات المفتاحية : صورة، مراة تارقية , رواية سرهو , منطقة ،تامنغست

* ختاش صفاء : khettache.safa@gemail.com

Abstract :

Woman has had a place in literary works since ancient times, and she still has that place within Arab and Islamic societies. And it's not a secret that the Targui woman possesses a privileged spot within the imohagh.

So we tried, through Mouloud Fentouri's novel Sarhou, to stand at the picture of the

woman through her social, cultural, and literary roles, bringing her status to light and the accompanying society components.

Through that role, we can formulate the following problem statements: to what extent

was the creative writer able to employ the social components of the Targui woman? And how did she play a role in the leadership and sovereignty of society.

Keywords: the picture. The woman. The woman's picture ,the Targui woman. Novel Sarhou

تمهيد:

أخذت الصورة الأدبية حيزاً كبيرا في العمل الروائي، فلها دور فعال في استخراج الكثير من الأبعاد والدلالات بمختلف أنواعها التي تكون في العمل الأدبي الروائي، حيث كان للصورة الأدبية دور كبير في تشكيل الأبعاد الفكرية والثقافية وحتى كذلك الاجتماعية والإيديولوجية .التي يسعى المؤلف أو الكاتب لتمريرها من خلال عمله السردي ،ولذلك جاءت هذه المداخلة التي نحاول أن نتطرق فيها للصورة الأدبية في عمل أدبي روائي لواحد من المبدعين الشباب في منطقة تمنرست، وهو المبدع مولود فرتوني، وذلك من خلال التطرق لصورة المرأة التارقية في روايته التي عنونها بعنوان " سرهو "، والتي نحاول أن نتطرق من خلال دراستنا لصورة المرأة التارقية فيها إلى مجموعة من الدلالات والأفكار التي تكون في المجتمع التارقي وكذلك مختلف التوجهات الفكرية والقافية للمجتمع عند ايموهاغ، وكذلك في تفكير الكاتب .

وذلك من خلال عدة تساؤلات نحاول أن نجيب عنها وتتعلق بهذا الأمر ، وهي :

- كيف شكل الكاتب مولود فرتوني صورة المرأة التارقية في عمله الروائي ؟.
- ما هي الأبعاد الثقافية والفكرية التي حاول كاتب الرواية مولود فرتوني أن يرسلها لنا عبر ذلك التصوير للمرأة؟.
- إلى أي مدى كانت الصورة التي رسمت للمرأة في الرواية مقبولة وتتطابق أو تتماشى مع الواقع ؟.
- هل كانت الصورة المرسومة طبيعية أو متكلفة .؟
- هل تعكس الصورة الموجودة في الرواية والتي تم بها تصوير المرأة التارقية مكانة المرأة في المجتمع التارقي ؟.

هذه المجموعة من الأسئلة هي التي سنحاول أن نتطرق لها ونجيب عليها في هذا المقال ،وذلك من خلال المحاور التالية :

إعطاء فكرة أولية عن تصوير المرأة في الرواية العربية، التطرق للرواية من خلال التعريف بها والتعريف بكاتبها.التطرق لأنماط صورة المرآة في الرواية من خلال التصوير الذي صوره الكاتب لها، سواء من الناحية النفسية الشعورية والعاطفية، وكذلك الصورة السوسيولوجية الاجتماعية، وكذلك الصورة الثقافية، التطرق لمدي تطابق الصورة المرسومة في الرواية مع حقيقة المرأة في مجتمع الإيموهاغ (التوارق).

أولا : لمحة عن مسالة تصوير المرأة في الرواية العربية

إن للمرأة شأن عظيم ودور جليل في الحياة، فهي مرتبطة بالبنية الثقافية والاجتماعية والأسرية على مدى كل العصور، لذلك دخلت عالم الأدب بمكانتها، وكانت تعد رمزا من رموز الشجاعة والقوة والأمان والصبر، و هي العنصر الفعال في المجتمع. أما بالنسبة للأدب فقد خصص لها درجة مهمة حيث أصبحت صورة المرأة في الأدب خاصة الرواية، فقد برزت بكثرة مع مطلع القرن العشرين، فنجد في الرواية العربية في مجال السرد عدة روائيين تطرقوا إلى توظيف المرأة كعنصر مهم في رواياتهم، وصوروها بصور مختلفة حسب توجهاتهم وأفكارهم، وهنالك أمثلة كثيرة في هذا المجال، نذكر منها مثلا "رواية زينب" للكاتب حسين هيكل والتي تتحدث عن الجانب الاجتماعي، حيث قدم لنا صورة امرأتين مسلمتين الأولى إمرأة ريفية بسيطة من الطبقة العاملة الكادحة التي لا حقوق لها، وهي تعيش على ما تعمل به من عرقها فسماها الكاتب (بزينب)، أما المرأة الثانية فتسمى (عزيزة) وهي من الطبقة النبيلة المخملية، وجعل صورة كل منهما تناقض الأخرى في كل شيء، وذلك لكي يبرز الفارق الذي يضعه ويفرضه المجتمع على الإنسان من خلال الطبقية التي خلقها الإتجاه الشيوعي.[1] ، ويتلخص مضمون أحداث الرواية في أن زينب صبية في مقتبل العمر تعيش مع أفراد عائلتها في بيت صغير وبسيط، لكن وفر لهم الآمان فكانت هذه الصبية

هي من تعيل أهلها بالعمل في حقول القطن يوميا، فكانت تتوجه إلى عملها قبل طلوع الشمس وتعود في وقت متأخر لأن حياة الإنسان في الريف صعبة، فالحياة أرغمتها على هذا العمل بسبب الحاجة الماسة للمال كي تستطيع العيش، ولكنها في نفس الوقت كانت زينب الصبية المراهقة تحظى بحرية وتنعم بالحياة بشكل عادي فقد صورها لنا محمد حسين هيكل أنها تعيش حرية تامة دون رقيب، فهي تخالط الرجال أثناء العمل وتتبادل معهم أطراف الحديث ،على عكس المرأة عزيزة التي هي من عمر التاسعة عشر سنة، تعيش فقد صورها لنا الكاتب سجينة والديها ولا تخرج إلا للضرورة القصوى لأنها ابنة فلان ،وهو ما جعل حياتها كئيبة حزينة، تعاني من مرض نفسي تولد بسبب الحرمان الذي جعلها متشوقة لرؤية نور الشمس أو رؤية وجه الغريب أو الاحتكاك مع الناس بحيث نرى أن عزيزة هي الصبية الحزينة ضيقة النفس مريضة على الدوام .

كذلك نجد تصوير المرأة في رواية أخرى هي للكاتب المصري المعروف الروائي توفيق الحكيم، وهي : الرواية التي عنوانها :(يوميات نائب في الأرياف) ،وهي رواية قدم فيها صورة النساء في الريف ؛ حيث صور المرأة أحيانا بأنها امرأة مضطهدة لا تزال تخضع لأوضاع اجتماعية قاسية بسبب الطبقية ، فنجده قد جعل هذه الصورة لشخصية من شخصيات الرواية سماها في الرواية (أم السعد)، وجاءت صورتها كإمراة جاهلة وأمية خشنة الطبع ،وقد كانت نموذج للنساء الريفيات المهمشات من طرف المجتمع فهي خادمة لا حقوق لها، وتكلف بالعديد من الواجبات ،فقد كانت تمثل دور الرجل بعملها في الحقول، بالإضافة إلى دورها في المنزل التي تقوم فيه بمشاغل البيت وتربية الأطفال، وأما المرأة الأخرى التي صورها توفيق الحكيم في عمله الأدبي هذا فهي المرأة البورجوازية زوجة المأمور التي خصها بصور تنقل جهلها وغباءها.

وكذلك وجود عدة أعمال روائية لكثير من الروائيين ،تعرضوا لصورة المرأة في أعمالهم الأدبية الروائية وكان فيها تصوير المرأة يختلف من عمل لعمل حسب ظروف الكاتب وأبعاده وأهدافه.

ثانيا : صورة المرأة في رواية (سرهو) :

لقد تناول مولود فرتوني في عمله الروائي (سرهو)، صورة المرأة وكانت صورا متعددة لنساء ايموهاغيات، من مختلف الأعمار والمستويات، والتي تناولها من نواحي متعددة كذلك، وهو ما سنبينه بعد أن نتطرق للتعريف بالكاتب أولا ،ثم التطرق لبعض تلك الصور وتبيينها ومناقشتها.

1-التعريف بكاتب الرواية (مولود فرتوني)

مولود فرتوني مواليد الحي الشعبي سنة 11 مارس 1976 درس الطور الابتدائي بتمنراست مدرسة ابن خلدون وعمر ابن الخطاب، ثم انتقل إلى الطور الثاني حيث درس بمتوسطة الشيخ التهامي، ثم إلى ثانوية الشيخ أمود، زاول دراسته بجامعة الجزائر العاصمة الجامعة المركزية بداية من 2002 إلى 2006 بقسم اللغة العربية وآدابها. كان مصرا على أن يختص في الثقافة الشعبية اختار الشعر كممارسة ثقافية عند الإيموهاغ كعنوان لمذكرة تخرجه، إشراف الدكتور عبد الحميد بورايو، درس ماستر بجامعة تمنراست أمين العقال الحاج موسى أق أخموك تامنغست في فترة بداية كورونا و عام 2019 إلى غاية2021 في مجال الأساطير عنوان المذكرة هو صورة البطل في القصة الشعبية أنموذجا.

شغل في مساره المهني عدة مناصب وهي: "

_ رئيس فرع الاتحاد للكتاب الوطنيين .

_ رئيس فرع الرابطة الوطنية للأدب الشعبي.

_رئيس النادي الأدبي لدار الثقافة .

_ محافظ لمهرجان الوطني للموسيقى و الأغنية الأمازيغية.

_مستشار ثقافي بمديرية الثقافة لولاية تمنراست.

ولقد ألف الكاتب عددا من الأعمال الأدبية في الشعر والنثر وهي :

_ ديوان شعري جماعي مع الشاعر مبروك بالنووي ومجموعة من الشعراء .

_ ديوان شعري فصيح.

_روايةسرهو2014

_الشعر عند الإيموهاغ كممارسة ثقافية صدر عام 2021."[2]

2- التعريف برواية (سرهو) :

رواية سرهو هي رواية تم نشرها سنة 2014، وهي رواية مقسمة إلى عدة عناوين ، ولكل عنوان من هذه العناوين حدث خاص به ،حيث كان عدد تلك العناوين خمسة وعشرين عنوانا ،حافظ فيها صاحب الرواية مولود فرتوني على أن يبقي الشخصيات الرئيسية حاضرة في أغلب الأحداث ،وهي رواية

مشكلة من مائة وعشرين صفحة ،ممتزجة بين السرد والحوار مما أنتج ذلك التنسيق والتفاعل ومن ثم التلاحم بين الخطابات، وهي رواية ذات طبيعة اجتماعية تحاكي حالة المجتمع الإيموهاغي وبالتحديد في منطقة الأهقار ،فالروائي تناول فيها جميع الفئات العمرية التي تعتبر شكلا من أشكال التنظيم عند مجتمع الأهقار.

3-أنماط صورة المرأة في الرواية، وأبعادها الدلالية

لقد صور الأديب في رواية سرهو المرأة في صور متعددة نابعة من ثقافته وعاداته وتقاليده، وكان تصويره لها، يحمل بعض الدلالات و الابعاد من عدة نواحي، وأيضا كانت تلك الصور تتناول عدة فئات عمرية حيث نجده قد صور المرأة الطفلة وكذلك المرأة الشابة اليافعة، وكذلك المرأة الكهلة ونجده قد ربط كل صورة من هذه الصور ببعض العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية الخاصة بمجتمع إيموهاغ، ومن أهم الأبعاد المطروقة التي تتعلق بصورة المرأة في الرواية نقف عليها وعلى تجلياتها بالآتي :

أ – صورة المرأة الفيزيولوجية، ودلالاتها في الرواية

تهتم الرواية بالبعد الفيزيولوجي لمجموعة من الشخصيات، فهي متعلقة بالشكل الخارجي و هو الوصف الذي تتميز به الشخصية من خلال ملامحها مما يجعل عملية السرد أكثر وضوحا، و من خلال هذه الصورة التي يرسمها الروائي، فهو يحاول أن ينمي خيال القارئ بتصوير الشخصية في ذهنه من خلال تحديده لعدة مواصفات . هذا ما كان يقصد به مولود فرتوني حسب ما ورد في الرواية فنجده يقول في إحدى فقراتها " تباهوت الجميلة فهي امرأة ممشوقة القوام بيضة جمالها يتلائم مع امتلائها...أخذت من جمال نساء الأهقار جمالهن المتميز ذلك الجمال الأسمر" [3] فيتضح لنا أن أغلب المواصفات التي وصفها الروائي هي التحدث عن مدى جمال المرأة التارقية فوصفها بأنها منحوتة نادرة الجمال هذا ما نقف عليه من جهة ، وهو نفس الوصف الذيء وصف به شارل دوفوكو المرأة التارقية في كتابه، حيث يقول عن موصفات و جمال المرأة التارقية :"المرأة الجميلة هي تلك التي تمتلك بشرة سمراء نوعا ما ذات عنق طويل و حاجباها سوداوان رفيعان...ذات قوام رفيع... بشرتها ناعمة ورطبة.." [4] ، وهو ما يعني بأن الصورة تتطابق فيتوافق الوصف مع جمال المرأة التارقية.

ولقد كان وصف الكاتب فرتوني للمرأة التارقية من الناحية الفيزيولوجية لتبيين بعض الأشياء الجمالية التي تتمتع بها فتاة الايموعاغ، وكذلك ليبين من خلالها أنها امرأة لا تقل عن غيرها من النساء في الجمال .

كذلك صور لنا صورة المرأة التارقية من الناحية الفيزيولوجية في صورة البطلة تين هينان، وهي الشخصية المحورية، وعنصر مكونا مهما من عناصر السرد في هذا العمل الأدبي الذي تناولناه، إن حضور الطفل في العمل الأدبي يخلق مجموعة من الخصائص الجمالية والفنية التي قد يحققها في وجوده في النص السردي ، فهي تلك المرحلة الإيجابية والمتميزة في حياة العائلة والتي تبث فيها تلك الروح المرحة، وهذا ما كانت تفعله الطفلة تين هينان "يضحك كل من في البيت من قول الطفلة " [5] مع عائلتها البسيطة المتكونة الجدة والخالة والعم لأنها يت يتيمة الأبوين و تكفل بها عمها ميمون الذي فرضت عليه الحياة الزواج من خالتها من أجل الطفلة تين هينان، هذه الفتاة صورها لنا مولود فرتوني من الناحية الفيزيولوجية أنها تتمتع بذكاء شديد وفطنة مما جعلها بارعة في العزف على الآلة التقليدية الامزاد وتردد قصائد داسين . بالرغم من صغر سنها . فنلاحظ أن الطفلة التارقية بالرغم من عمرها الصغير الذي يتوافق مع جسدها إلا أنها ذات عقل سابق العمر .

ب –صورة المرأة السيكولوجية ، ودلالاتها في الرواية

الجانب السيكولوجي الذي ركز عليه الكاتب في الرواية كثيرا في تصوير المرأة التارقية هو جانب العاصفة، فمن المعلوم أن العاطفة هي مجموعة من المشاعر والأحاسيس وأيضا هي عبارة عن وعي وإدراك الشخص اتجاه مواقف تصادفه في حياته والتي يواجهها الانسان في يومه، ومن جهة اخرى: هي ظواهر نفسية اتجاه حدث معين، فالعاطفة قد تحمل الحزن والسعادة، الخوف والغضب... إلى غير ذلك من العواطف و الانفعالات المرئية أو الغير مرئية إزاء شيء معين او من شخص ما، ويعرفها أحمد الشايب بقوله : " العاطفة من أهم العناصر وأقوامها في طبع الأدب بطابعه الفني، ولكن يجب أن نلاحظ ان الآثار الأدبية تختلف في درجة اشتمالها على العاطفة قد تكون غاية الأدب كما قد تكون وسيلة لنشـــر الحقائق " [6]

و يتجلى البعد العاطفي في الرواية بشكل واضح من بدايتها الى نهايتها، فهو يكشف لنا عن عاطفة المرأة التارقية في المجتمع التارقي، فقد صوره مولود فرواتي في الرواية بصور متعددة بين الحب من طرفين او من طرف واحد، فنجده يصور لنا المرآة من الناحية العاطفية في عدة أماكن في الرواية فنجد مثلا شخصية (دوجا) خديجة التي صور لنا نفسيتها وحبها لابن عمتها ميمون من خلال قوله "إنها امرأة خلقت لتحب في صمت و تغضب في صمت، وتموت في صمت)"[7] ، وكذلك صور لنا نفسية (دوجا) وهي تحدث صديقتها عبير في حبها الكبير التي تكنه لميمون و لكنها لا تستطيع ن تواجهه به

لأنها سوف تتزوج من قدور أخ ميمون حين كانت تقول :" أحببته منذ أن عرفت ما معنى ان تحب امرأة رجلا ظله موجود في كل مكان، أحبه حين يتعلم أحبه حين يتألم ويتكتم... أحبه حين يمشي وحين يغضب وحين يضحك وحين يناقش أحبه يا عبير إلى حد العبادة"[8] فعاطفة دوجا هنا هي عبارة عن مزيج من شعور يجمع بين الحب والحزن فكانت نبراتها باكية تألم أي مستمع لحديثها، فأخذت تسألها عبير" هل انتن التارقيات تحببن الرجال إلى هذه الدرجة "[9] تعجب الصديقة من تعبير صديقتها عن حبيبها لأن المرأة التارقية هي تلك الأنثى الهادئة والمسالمة التي لا يمكن أن تحمل كل هذه المشاعر العظيمة في القلب دون الفصح أو البوح بها في حين آخر أجابتها خديجة قائلة :"ولا يعني هذا يا عبير أن حبي مثاليا فهناك الكثيرات اللواتي أحببن مثل حبي و منهن أشد مني ألما وحبا وصمتاً "

وكذلك صور لنا الكاتب مولود فرتوني، الصورة النفسية للمرأة التارقية من خلال شخصية أميناتا (أخت دوجة) زوجة ميمون التي وصفها في الرواية "هي الطيبة ابنة البادية والتي كانت تحبه حبا كبيرا حب امرأة لرجل وبرغم علمها بأنه لا يحبها إلا أنها راهنت على حبها له وارتبطت به ولما تجلس لنفسها تحدثها عن عذاباتها التي لم تحدث بها أحد تلك العذابات المتعلقة بحبها الكبير لرجل .. تعمل جاهدة على عدم إظهار تلك العذابات من أجل الحفاظ على الرجل الوحيد الذي أحبت" [10] يتبن من الصورة لنا أن مولود فرتوني أراد من خلال الصورة التي صور بها اميناتا ان المرأة التارقية دائما تختار ممارسة الصمت والصبر ، فأميناتا، بكل بساطة هي أنثى متزوجة أحبت زوجها وكفى، فهذا يعتبر الحب من طرف واحد الذي تحدثنا عنه سابقا لدرجة أنها تتمنى أن تقول له ولو كلمة اشتقت اليك هذا دليل قوة شخصية المرأة التارقية التي تواجه احساسها بقلب دام يتألم مصاحبا بابتسامة كلها سعادة و تفاؤل وصبر.

أيضا نجد نموذج للصورة النفسية للمرأة التارقية في صورة البطلة تين هينان وحبها لأكسا الذي يعتبر حب من طرفين وهو من أسمى وأرقى المشاعر التي دامت أكثر من ثماني سنوات لكن في الأخير لم يتوج هذا الحب بالزواج لأن العم ميمون كان رافضا، ولأنه أراد لها أن تكون طبيبة ناجحة لا امرأة تقليدية، أراد لها مستقبلاً زاهرا . تزوج أكاسا وأصبحت تين هينان طبيبة مثلما أختار عمها ميمون انتهت قصة تين هينان وأكاسا بأغنية قدمتها بنبرة حزينة تتحدث عن كل امرأة تارقية تحب في صمت وأعطت للصحراء ما تحتاج من حنان، حيث قالت تغني:

"أجل سأغني

أغني لحب عظيم الخصال...

أجل سأغني... لكل نساء القبيلة...
وقصة حب على أرض صحرائنا " [11]

ثالثا : صورة المرأة الثقافية والإجتماعية، ودلالاتها في الرواية

–البعد الثقافي:

الثقافة هي تلك التصرفات او السلوكيات التي يقوم بها الإنسان في حياته اليومية داخل إطار مجتمعه الخاص وهي أيضا عبارة عن صفات خلفية ترتبط بأسلوب الحياة الذي يعكسه الإنسان في المحيط الذي يعيش فيه فهي ناتجة عن تفاعل بين الأشخاص فتعد الثقافة نسيج من الأفكار و المعتقدات والاتجاهات داخل مجتمع ما، وقد عرفت بأنها : " الُّرقي في الأفكار الَّنظرَّية، وذلك يشمل الُّرقي في القانون، والِّ سياسة، والإحاطة بقضايا التَّاريخ المهَّمة، والُّرقي كذلك في الأخلاق، أو السلوك، وأمثال ذلك من الاتِّجاهات الَّنظرَّية " [12] يتيمة الأبوين و تكفل بها عمها ميمون الذي فرضت عليه الحياة الزواج من خالتها من أجل الطفلة تين هينان، هذه الفتاة صورها لنا مولود فرتوني من الناحية الفيزيولوجية أنها تتمتع بذكاء شديد وفطنة مما جعلها بارعة في العزف على الآلة التقليدية الامزاد وتردد قصائد داسين . بالرغم من صغر سنها . فنلاحظ أن الطفلة التارقية بالرغم من عمرها الصغير الذي يتوافق مع جسدها إلا أنها ذات عقل سابق العمر .

ب –صورة المرأة السيكولوجية ، ودلالاتها في الرواية

الجانب السيكولوجي الذي ركز عليه الكاتب في الرواية كثيرا في تصوير المرأة التارقية هو جانب العاصفة، فمن المعلوم أن العاطفة هي مجموعة من المشاعر والأحاسيس وأيضا هي عبارة عن وعي وإدراك الشخص اتجاه مواقف تصادفه في حياته والتي يواجهها الانسان في يومه، ومن جهة اخرى: هي ظواهر نفسية اتجاه حدث معين، فالعاطفة قد تحمل الحزن والسعادة، الخوف والغضب... إلى غير ذلك من العواطف و الانفعالات المرئية أو الغير مرئية إزاء شيء معين او من شخص ما، ويعرفها أحمد الشايب بقوله : " العاطفة من أهم العناصر وأقوامها في طبع الأدب بطابعه الفني، ولكن يجب أن نلاحظ ان الآثار الأدبية تختلف في درجة اشتمالها على العاطفة قد تكون غاية الأدب كما قد تكون وسيلة لنشر الحقائق"[13]

ويتجلى البعد العاطفي في الرواية بشكل واضح من بدايتها الى نهايتها، فهو يكشف لنا عن عاطفة المرأة التارقية في المجتمع التارقي، فقد صوره مولود فرواتي في الرواية بصور متعددة بين الحب من

طرفين او من طرف واحد، فنجده يصور لنا المرآة من الناحية العاطفية في عدة أماكن في الرواية فنجد مثلا شخصية (دوجا) خديجة التي صور لنا نفسيتها وحبها لابن عمتها ميمون من خلال قوله "إنها امرأة خلقت لتحب في صمت و تغضب في صمت ، وتموت في صمت)"[14] ، وكذلك صور لنا نفسية (دوجا) وهي تحدث صديقتها عبير في حبها الكبير التي تكنه لميمون و لكنها لا تستطيع ن تواجهه به لأنها سوف تتزوج من قدور أخ ميمون حين كانت تقول :" أحببته منذ أن عرفت ما معنى ان تحب امرأة رجلا ظله موجود في كل مكان، أحبه حين يتعلم أحبه حين يتألم ويتكتم... أحبه حين يمشي وحين يغضب وحين يضحك وحين يناقش أحبه يا عبير إلى حد العبادة"[15] فعاطفة دوجا هنا هي عبارة عن مزيج من شعور يجمع بين الحب والحزن فكانت نبراتها باكية تألم أي مستمع لحديثها، فأخذت تسألها عبير" هل انتن التارقيات تحببن الرجال إلى هذه الدرجة "[16] تعجب الصديقة من تعبير صديقتها عن حبيبها لأن المرأة التارقية هي تلك الأنثى الهادئة والمسالمة التي لا يمكن أن تحمل كل هذه المشاعر العظيمة في القلب دون الفصح أو البوح بها في حين آخر أجابتها خديجة قائلة :"ولا يعني هذا يا عبير أن حبي مثاليا فهناك الكثيرات اللواتي أحببن مثل حبي و منهن أشد مني ألما وحبا وصمتاً " [17]

وكذلك صور لنا الكاتب مولود فرتوني، الصورة النفسية للمرأة التارقية من خلال شخصية أميناتا (أخت دوجة) زوجة ميمون التي وصفهافي الرواية "هي الطيبة ابنة البادية والتي كانت تحبه حبا كبيرا حب امرأة لرجل وبرغم علمها بأنه لا يحبها إلا أنها راهنت على حبها له وارتبطت به ولما تجلس لنفسها تحدثها عن عذاباتها التي لم تحدث بها أحد تلك العذابات المتعلقة بحبها الكبير لرجل .. تعمل جاهدة على عدم إظهار تلك العذابات من أجل الحفاظ على الرجل الوحيد الذي أحبت"[18] يتبن من الصورة لنا أن مولود فرتوني أراد من خلال الصورة التي صور بها اميناتا أن المرأة التارقية دائما تختار ممارسة الصمت والصبر فأميناتا، بكل بساطة هي أنثى متزوجة أحبت زوجها وكفى، فهذا يعتبر الحب من طرف واحد الذي تحدثنا عنه سابقا لدرجة أنها تتمنى أن تقول له ولو كلمة اشتقت اليك هذا دليل قوة شخصية المرأة التارقية التي تواجه احساسها بقلب دام يتألم مصاحبا بابتسامة كلها سعادة و تفاؤل وصبر.

أيضا نجد نموذج للصورة النفسية للمرأة التارقية في صورة البطلة تين هينان وحبها لأكسا الذي يعتبر حب من طرفين وهو من أسمى وأرقى المشاعر التي دامت أكثر من ثماني سنوات لكن في الأخير لم يتوج هذا الحب بالزواج لأن العم ميمون كان رافضا، لأنه أراد لها أن تكون طبيبة ناجحة لا امرأة تقليدية، أراد لها مستقبلاً زاهرا . تزوج أكاسا وأصبحت تين هينان طبيبة مثلما أختار عمها ميمون، انتهت قصة تين

هينان وأكاسا بأغنية قدمتها بنبرة حزينة تتحدث عن كل امرأة تارقية تحب في صمت وأعطت للصحراء ما تحتاج من حنان ، حيث قالت تغني:

"أجل سأغني

أغني لحب عظيم الخصال...

أجل سأغني... لكل نساء القبيلة...

وقصة حب على أرض صحرائنا " [19]

ثالثا : صورة المرأة الثقافية والإجتماعية ، ودلالاتها في الرواية

–البعد الثقافي:

الثقافة هي تلك التصرفات او السلوكيات التي يقوم بها الإنسان في حياته اليومية داخل إطار مجتمعه الخاص وهي أيضا عبارة عن صفات خلفية ترتبط بأسلوب الحياة الذي يعكسه الإنسان في المحيط الذي يعيش فيه فهي نابجة عن تفاعل بين الأشخاص فتعد الثقافة نسيج من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات داخل مجتمع ما، وقد عرفت بأنها : " الُّرقي في الأفكار الَّنظرَّية، وذلك يشمل الُّرقي في القانون، والسياسة، والإحاطة بقضايا التَّاريخ المهَّمة، والُّرقي كذلك في الأخلاق، أو السلوك، وأمثال ذلك من الاتِّجاهات الَّنظرَّية " [20] ونجد أن الثقافة التارقية مرتبطة ارتباط وثيق بالتراث الشعبي وللمرأة دور كبير فيها، حيث نجد أن المرأة التارقية منذ صغرها تقوم ببعض الامور التي تتشكل منها الثقافة التارقية " بحيث أن والدتها تعلمها تفصيل الملابس و ترقيعها، و تصنيع شعر الماعز والجلود وطريقة إقامة الخيمة وفكها وطريقة التزيين للنساء، كما تعلمها حروف ((التيفيناغ)) وقراءة القرآن و الشعر وإلقائه "[21] وهي " تتمتع بجميع المزايا التي يتمتع بها الشاب عادة في المجتمعات البدوية، لهذا نلاحظ أن مستوى تعليمها متقدم على الشاب "[22] كما أن "من بين أهم الأمور التي تكاد أن تصبح من المسلمات وهي على الفتاة التارقية أن تتقن العزف على آلة الإمزاد الموسيقية[23] وتعتبر" آلة الإمزاد آلة وترية موسيقية تقليدية عند قبائل طوارق الأهقار، محدبة الشكل تعزفها النساء ويستعمل فيها إلى جانب الإمزاد الدف والتصفيق عظمة محدبة الشمال تشبه الربابة العربية، باختصار أن للمرأة التارقية الفضل الأول والأخير في الحفاظ على تراث ثقافة التوارق التقليدية ."[24]

وهذا ما جاء في رواية سرهو في تصوير المرأة التارقية في البعد الثقافي، من خلال ابراز اللباس التقليدي الذي يسمى (تيسغناست) وهو اللباس الموحد حيث اشتهرت به المرأة التارقية، وهو من أقدم

وأشهر الألبسة لدى التوارق الخاصة بالمرأة فهو يحمل عدة اسماء على غرار، حولي الملحفة وليزار مثلما ذكر في الرواية حيث قال في الرواية " مرت به فتاة ترتدي تيسغناس وهو (إبرز ما ترتديه المرأة التارقية) ولا تظهر إلا عينيها" [25] واللباس مظهر مادي وصورة ثقافية تدل على هيئة المجتمع وخاصية من خصائص الهوية الجمعية للمجتمع .

أيضا كانت الصورة الثقافية للمرأة كما صورها الكاتب مربوطة بـ ببعض الأغاني والآلات الموسيقية التارقية مثل تيدينيت و تندي وإمزاد ، وهي عبارة عن آلات موسيقية تقليدية تختلف عن باقي الطبوع وهما آلات محرمة على الرجال فهي مصنوعة للمرأة التارقية دون الرجل التارقي فتقول أسطورة الأمراء بأن أي رجل يعود الإمزاد ستحل عليه اللعنة، وللامزاد و تر واحد مصنوع من ذيل شعر الخيل تصدر موسيقى حزينة ورقيقة و هادئة مثل هدوء أمل الصحراء، وتسمى الموسيقى التي تصدر عنها موسيقى السلام لأنها كانت سببا في إيقاف الحرب بدت بين قبيلتين لأن امرأة تارقية جلست تعزف فسمعها المحاربون وخبوا سيوفهم ليستمعوا إليها.

وقد تكررت كلمة الإمزاد في النص مرات عديدة وكانت مرتبطة بالمرأة وثقافتها، ومن بين ذكرها ما جاء في الرواية " لما أنهت تين هينان معزوفتها الإمزادية الرائعة."[26] " ، وقد ربطها الكاتب كثيرا بتين هينان بطلة الرواية.

ايضا ورد في الرواية آلة (التيدينيت)، وهي آلة ذات وترين تكون مصحوبة بأغاني (الجاقمي) وأصوات مصحوبة برقصة " تسمى رقصة الجاقوار وهي حركة تجعل الناظر يهتز في مكانه لأن المرأة لما تؤديها تؤديها بكامل جسمها من أخمص رجليها إلى رأسها وهي رقصة تبرع فيها النساء البدينات." [27]

-البعد السوسيولوجي، (الاجتماعي):

المجتمع هو مجموعة من الناس تعيش في موقع معين تربط فيما بينهم علاقات اجتماعية، كما يعتبر المجتمع نظاما شبه مغلق فهو منظومة معقدة تتغير و تتطور باستمرار.

ويعتبر المجتمع التارقي مجتمع أمومي بالدرجة الأولى فالأم أو المرأة هي من الأمور المقدسة، فهم يعترفون بأولوية البطن على الظهر ان القرابة والانتساب يكون من جهة الأم لا الأب . فهي تتمتع بمكانة عظيمة في الوسط الاجتماعي كما ذكرنا من قبل . فالمولود الجديد ينتسب إلى نسب أمه، حتى المكانة الاجتماعية حيث أن الطفل لا يكون نبيلا بأبيه إلا إذا كانت أمه نبيلة[28] . وهذا يبرز لنا أهمية المرأة في المجتمع التارقي .

وفي هذه الرواية صور لنا مولود فرتوني الواقع الاجتماعي للمجتمع التارقي من خلال تصويره للمرأة التارقية، فالمرأة بسبب مكانتها الاجتماعية في المجتمع التارقي جعلها الكاتب فرتوني النموذج الأمثل واستعان بها، من خلال مختلف الصور التي صورها بها ،لعرض العديد من القضايا الاجتماعية فارتبط هنا البعد الاجتماعي بالثقافي فهناك شخصيات ساهمت في بناء أحداث الرواية ولكل شخصية اسمها، وكل اسم يحمل دلالة وبعد اجتماعي، فقد أورد عددا من الأسماء هي اسماء متخيلة لكن لا يمكن أن ننكر انها قريبة إلى الواقع ، لأنها هي في الأساس تمثل شريحة من المجتمع تدور بها الأحداث وراجع –ذلك إلى البعد الأنثروبولوجي أو الاجتماعي الذي يكتسبه الاسم. فمثلا اسم (تسيمقت) أو (تسامقت) بحذف الياء واستبدالها بألف المد وتعني بالمضيئة وهو من الشيء الذي يتلألأ ويضيء إذ أن المجتمع الإيموهاغي متأثر ومرتبط ارتباطا وثيقا ببيئته الصحراوية فهو يستقي بعض الأسماء من مصادر الطبيعة المحيطة به، وأيضا اسم (تين هينان) هو أيضا اسم تارقي أصيل، هو اسم من لغة (التماهاق). مركب من جزئين (تين) و (هينان) بمعنى صاحبة الخيام أو صاحبه الرحل. مثلما أشار إليه الروائي في الرواية أما المعنى المجازي أم التوارق. وهو اسم أطلق في القديم على ملكه قبائل التوارق التي "حكمت في القرن الرابع الميلادي في الأساطير تثبت أنها كانت تدافع عن أرضها وشعبها ضد الغارات كما عرفت بأنها صاحبة حكمة ودهاء"[29] فاسم تين هينان الذي اعطاه الروائي للمرأة والشخصية البطلة في الرواية يمتلك عدة دلالات منها دلالات تاريخية ودلالات اجتماعية و دلالات رمزية. وكذلك اسم (داسين) هو أيضا من أصل أمازيغي، ومعناه أميره الغناء أما بالنسبة إلي اسم داسيين المذكور في الرواية. فقد جاءت فيها بأنها "هي إحدى جميلات الأهقار المعروفات اسمها الكامل داسين ولت إيهمه... الكثير من رجال الأهقار وهي من النساء اللواتي اشتهرنا بالشعر و موسيقى امزاد."[30] وهو اسم كذلك يحمل دلالات اجتماعية تتمثل في ربطها بشخصية معروفة في المجتمع التارقي هي داسين.

ـ ومن الأسماء كذلك التي تعكس البعد الاجتماعي للمجتمع التارقي والتمازج الاثني والتأثر بالمجتمع العربي والتي سمى بها الروائي شخصياته النسائية، اسمي (أميناتا) و (فاضيماتا) وهما شخصيتان من شخصيات الرواية ، ف(أميناتا) هو مأخوذ من أسم (أمينة) العربي. ومعناه المخلصة أي الفتاه الوفيه. أما إسم (فاضيماتا) ، فهو مأخوذ من اسم فاطمة العربي وهو من (فطم) وهو فصل الولد عن الرضاعة ويسمون العرب الفتاة بهذا الاسم من أجل التفاؤل. وهذين الأسمين من أسماء فضليات النساء المسلمات.[31] وهو دليل على المثاقفة بين التارقية و العربية. في مجتمع الإيموهاغ

الخـــاتمة:

وفي الختام فلقد حاولنا ان نقف على الصورة التي صور بها الكاتب مولود فرتوني المرأة في رواية سرهو، واكتشاف الدلالات التي تبينها الصورة في الرواية والتي تعكس المجتمع التارقي. وقد توصلنا الى عدة نتائج متمثلة في :

_أن المرأة التارقية من خلال تصويرها في الرواية هي في المجتمع التارقي تمثل المكون الاساسي في تطويره وارتقاءه بحيث أغلب النواحي في المجتمع تعتمد على حضور المرأة التارقية .

_تصوير المرأة ودلالاته الثقافية والاجتماعية كان من أكثر الصور في رواية سرهو، التي بينت لنا البعد الاجتماعي والثقافي في مدتمع التوارق

_كشف لنا الروائي من خلال الرواية أن معاناة المرأة التارقية في الإفصاح عن مشاعرها وهذا احتراما – أن فرتوني قد أعطى للمرأة عدة صور، بحيث مثلت تين هينان تلك البريئة الناضجة العالمة القوية التي وصلت إلى هدفها بأن أصبحت طبيبة، و (أميناتا) المادية الغامضة التي تحاول احتواء عائلتها.

_ معالجة الظواهر الاجتماعية من خلال تطرق مولود فوتوني الى ظاهرة تعليم الفتاة التارقية وتحقيق الرغبة في إكمالها الدراسة وتحقيق طموحها.

– من خلال اسماء النساء وتصويرهن في الرواية حاول فرتوني أن يبرز لنا التعايش والاختلاط الموجود في المجتمع الهقاري بين مختلف الإثنيات التي تسكنه كالحسنانيين, والتوارق , والحراطين, والشعانبة.

1 - محمد حسنين هيكل ، زينب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، 2012 ص15-19

2– مقابلة شخصية مع : مولود فرتوني، مستشار بمديرية الثقافة، اسئلة حول واقع المرأة التارقية في المجتمع الايموهاغي الروائي، دار الثقافة تامنغست ، 14، نوفمبر 2022

3– مولود فرتوني ، رواية سرهو، دار مزوار للطباعة و النشر، واد سوف، الجزائر، ط.1 ،2014، ص67

4 - _Chareles de Foucauld, textes Touaregs en prose, édition critique avec traduction par Salem Chaker, Marceau Gast ouvrage publié avec le concours du centre national de la recherche scientifique, (EDISUD), paris, France,1984, page 90.

5 مولود فرتوني ، مصدر سابق ،ص15.

6 احمد الشايب، اصول النقد العربي الأدبي مكتبة النهضة الحضارية، القاهرة، مصر ، 1964 ص31.

7 مولود فرتوني ، مصدر سابق،ص10.

8 المصدر نفسه، ص12.

9 المصدر نفسه، ص13.

[10] - المصدر نفسه ص 08

11- المصدر نفسه ص116 ص 117

12- مساعدية لزهر ، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد : التاسع جوان 2017 ، ص34

13 احمد الشايب، اصول النقد العربي الأدبي مكتبة النهضة الحضارية، القاهرة، مصر ، 1964 ص31.

14 مولود فرتوني ، مصدر سابق،ص10.

15 المصدر نفسه، ص12.

16 المصدر نفسه، ص13.

[17] المصدر نفسه، ص13

[18] المصدر نفسه، ص13

19- المصدر نفسه ص116 ص 117

20- مساعدية لزهر ، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد : التاسع جوان 2017 ، ص34

21، مليكة بوداوي أخموك , الأمينوكال الحاج باي أق أخموك (رجل و تاريخ)، دار عبد اللطيف للطباعة و النشر,2020، جزء 2 صفحة 90

22المرجع نفسه صفحة52.

23 – حمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى مركز دراسات و ابحاث شؤون الصحراء طرابلس، ليبيا،ط.2.1989 ،صفحة34

24 مولود فرتوني ،مصدر سابق، ص39.

25– المصدر نفسه ص 08.

26– المصدر نفسه ص57

27– المصدر نفسه ص14.

28– مليكة بوداوي مرجع سابق ، ص 90

29 – مقابلة شخصية مع : مولود فرتوني، مستشار بمديرية الثقافة، اسئلة حول واقع المرأة التارقية في المجتمع الايموهاغي الروائي، دار الثقافة تامنغست ، 14، نوفمبر 2022 ،

30 – مولود فرتوني ،مصدر سابق ،ص 25 .

31– حنا نصر الدين ،قاموس الاسماء العربية و المعربة و تفسير معانيها ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط.3 .2003، ص 7.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : باللغة العربية :

المصادر

1– مولود فرتوني ، رواية سرهو،(2014) دار مزوار للطباعة و النشر، واد سوف، الجزائر، ط.1

2– مقابلة شخصية مع مولود فرتوني ، مستشار بمديرية الثقافة، اسئلة حول واقع المرأة التارقية في المجتمع الايموهاغي الروائي، دار الثقافة تامنغست، 14، نوفمبر 2022 .

المراجع

1– أحمد الشايب، اصول النقد العربي الادبي(1964) ،مكتبة النهضة الحضارية، القاهرة، مصر ،

2- حنا نصر الدين ، قاموس الاسماء العربية و المعربة وتفسير معانيها(2003)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ،ط ،3.

3- محمد حسنين هيكل ، زينب،(2012) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، جمهورية مصر العربية

4- محمد سعيد القشاط، التوارق ،عرب الصحراء الكبرى (1989) ،مركز دراسات و ابحاث شؤون الصحراء، طرابلس، ليبيا،ط..2.

5- مساعدية لزهر ، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد : التاسع جوان 2017

6- مليكة بوداوي أخموك , الأمينوكال الحاج باي أق أخموك (رجل و تاريخ)،(2020،) دار عبد اللطيف للطباعة و النشر, جزء 2

ثانيا : باللغة الأجنبية :

1_Chareles de Foucauld, **textes Touaregs en prose**, **édition critique ouvrage** (**1984**)**avec traduction par Salem Chaker**, **Marceau Gast publié avec le concours du centre national de la recherche scientifique**, (**EDISUD**), **paris**, **France**,